



الدِّكَاؤُ العَاطِفِيُّ: دراسةٌ تحليليَّةٌ تأصيليَّةٌ وفقَ المنهجِ التربويِّ الإسلاميِّ

عماد كنعان* (İmad Kenan)

ملخص الدراسة باللغة العربية

هدفت الدراسة إلى تحليل مبدأ الدِّكَاؤِ العَاطِفِيِّ الفرديِّ والجماعيِّ وتأصيله في ضوء المنهج التربوي في السنة النبوية. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التوثيقي التأصيلي عبر أداتي الاستقراء والاستنتاج للتعرف إلى منهج الإسلام في تمكين دعائم التوازن النفسي بين المسلمين؛ وذلك بالاعتماد على منهج بحثي يقوم على التوثيق للأدلة الشرعية، ثم تحليلها لتحديد سبل بناء منظومة الدِّكَاؤِ العَاطِفِيِّ الفردي والجماعي في مختلف مفاصل المجتمع المسلم. وخلصت الدراسة إلى أن مبدأ الدِّكَاؤِ العَاطِفِيِّ مبدأ تربوي نفسي إسلامي أصيل اهتم القرآن الكريم بإرسائه وعملت السنة النبوية القولية والفعلية والتقريبية على تجسيده، وكذلك الخلف من علماء الأمة؛ وتوصي الدراسة بأهمية الإفادة من منهج التأصيل الذي اعتمده والعمل على تطويره بغية إنحاز دراسات توثق ثراء الفكر التربوي والنفسي الإسلامي وسبقه في إرساء مبادئ الصحة النفسية عبر إظهار تعدد أساليب الشريعة الخاتمة وتنوع غاياتها.

الكلمات المفتاحية: الدِّكَاؤُ العَاطِفِيُّ، المنهج التربويِّ الإسلاميِّ، الدِّكَاؤُ العَاطِفِيُّ الفرديِّ والجماعيِّ

* الباحث الدكتور، جامعة كيليس كلية الإلهيات، كيليس/التركية

Duygusal Zekâ : İslami Eğitim Metoduna Uygun Analitik Bir Çalışma

Öz

Bu çalışma; Hz. Peygamber'in sünnetinin eğitim yöntemi ışığında, ferdi ve toplumsal olarak duygusal zekâ ilkesi ve kökeninin incelenmesini hedeflemektedir.

Araştırmacı Müslümanlar arasında psikolojik denge dayanaklarının oluşumunda İslami yöntemin tanıtımında, tümevarım ve tümdengelim yöntemleri aracılığıyla betimsel analitik metodu ve dokümanter metodu kullanmıştır. Şer-i delillerin belgelendirilmesini temel alan araştırma yöntemine dayanarak İslam toplumunun çeşitli katmanlardaki birey ve toplumun duygusal zekâ sisteminin yapılanması yollarının belirlenmesini analiz etmektedir.

Araştırma duygusal zekâ ilkesinin, Kur'anı kerimin yerleştirilmesini önemseydiği, sözlü, fiili ve takriri nebevî sünnetin ve ümmetin halef âlimlerinin somutlaştırılmasına çalıştığı, özgün bir İslami psikolojik eğitim ilkesi olduğu sonucuna varmıştır. Çalışma, dayandığı dokümanter yöntemin yararının önemli olduğunu, bununla birlikte son din İslam'ın çok yönlü ve çok amaçlı yönünü göstererek, İslami pedagojik ve psikolojik düşüncenin zenginliğini ve psikolojik sağlık ilkelerinin yerleştirilmesinde ilk olduğunu ortaya koyan çalışmalar yapmak amacıyla bu yöntemin geliştirilmesini tavsiye etmektedir.

Anahtar Kelimeler: Duygusal zekâ, İslami eğitim metodu, bireysel ve toplumsal olarak duygusal zekâ.

Emotional Intelligence: An Analytical Study in Line with Islamic Education Method

Abstract

The study aims at consolidate identity Of Kant's educational philosophy under the educational Islamic point of view. The investigator does his study through the descriptive analytic method using inference and induction tools to identity The most important educational values the principles and learning methods that kant,s educational philosophy called for it.

After that he starts the comparison With educational learning theory through the educational Islamic point of view that is based on documenting then analyzing the legal evidences to identify the learning principles adopted by it and to show the educational values emerging from it and to define points of contrast and differentiation between Kant's educational philosophy thought and the modern Islamic education thought.

The study concludes that There are several contrasting points and meeting points between Kant's educational philosophy and the philosophy of Islamic educational.. And it says to benefit from the method of consolidation that it uses and to work to improve it aiming at achieving studies that proves that the Islamic educational thought has been precursor in establishing principles and methodologies in teaching that have various methods and numerous aims.

Keywords: Emotionality intelligence, Islamic educational curriculum, emotional intelligence at individual and societal levels.

أولاً: خطة البحث

- 1- المَقْدَمَة
- 2- مشكّلة البحث:
- 3- أهمية البحث ومسوغاته:
- 4- أهداف البحث:
- 5- مصطلحات البحث:
- 6- الدراسات السابقة

ثانياً: المحتوى العلمي

- 1- مَعَالِمُ التَّوَاظِنِ التَّفْسِييِ
- 2- تحقيق معايير الذكاء العاطفي في السيرة النبوية (إمام الأذكياء عاطفياً)
- 3- توظيف منظومة الذكاء العاطفي في المراحل الدقيقة (التَّفَاق... وَكُرُّ الحَدِيدَةِ وَخَنَدَقُ أَرِبَاجِهَا)
- 4- التربية النبوية على الذكاء العاطفي الجماعي (مِمَّ كَانَ لِلنَّبِيِّ كَلِمَتَهَا)
- 5- تحصيل الجماعة من التفرق في ظلال مبادئ الذكاء العاطفي الراسخة (الشَّارِدُ وَالْقِنْدِيلُ)
- 6- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (قَبَسٌ مِنْ أَنْوَارِ الشَّيْخِينَ)
- 7- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (فقه الحُبِّ القويم)
- 8- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (بصيرة الوَلَدِ وَالْأُمَّ)
- 9- التوازن العاطفي لدى التابعين الكرام عَابِدُهُ الإِسْلَامِ الأَوَّلِي
- 10- التوازن العاطفي لدى التابعين الكرام (حَمَادٌ.. نَمُودَجُ العَالِمِ العَامِلِ)
- 11- الدِّكَاةُ العَاطِفِيَّةُ الجَمَاعِيَّةُ

ثالثاً: نتائج البحث وتوصياته

رابعاً: مصادر البحث ومراجعته

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أولاً: خطة البحث

1- المُقَدِّمَةُ:

ولد مصطلح الذكاء العاطفي في الولايات المتحدة الأمريكية قبل عشرين عاماً، إذ لاحظ علماء النفس والسلوك هناك أن نجاح الإنسان وسعادته في الحياة لا يتوقفان على ذكائه العقلي فقط، وإنما على صفات ومهارات قد توجد وقد لا توجد عند الأشخاص الأذكياء، وأطلق العلماء على هذه الصفات والمهارات تسمية الذكاء العاطفي، ورمزوا له بالـ (EQ Emotional Quotient) مقابل الـ (IQ Intelligence Quotient) (رمز الذكاء العقلي، وبدؤوا بإجراء أبحاث وإحصائيات حول هذا الذكاء الذي اكتشفوه، وقد بينت هذه الأبحاث مكونات الذكاء العاطفي، وكيفية تحديد مستواه، وما الوسائل الكفيلة برفع هذا المستوى، كما أكدت بما لا يدع مجالاً للشك أن النجاح والسعادة في الحياة متوقفان على مستوى الذكاء العاطفي عند الإنسان، وليس على مستوى ذكائه العقلي¹).

ويعدُّ الذكاءُ العاطفيُّ أحد أنواع الذكاءات المتعددة الموجودة لدى الإنسان، والذي حدّده علماء كثر في منتصف الثمانينيات، حيث أكدت الأبحاث والمشاهدات العمليّة ارتباطه المباشر بالإرتياح والسعادة والإنتاجيّة والنموّ المستمر للشخص على الصعيد الأسري، والمهني والاجتماعي.

ويعرّفُ الذكاءُ العاطفيُّ على أنه: القدرة على فرز عواطف الإنسان وأحاسيسه، وحسن استعمالها، ويعرف (كولمان) الذكاء العاطفي بأنه: القدرة على أن تتعرّف على مشاعر الآخرين وعلى مشاعرك الشخصية، وذلك لتحفيز أنفسنا، وإدارة عواطفنا بشكل سليم وجيد في علاقتنا مع الآخرين².

حيث إنه من غير الحكمة أن لا نُصيِّح السَّمع لِرُجْعِ صدى أنين آلام النَّاسِ وَخَفِيفِ آمالهم، وهم يرزحون تحت نَيْرِ فُجْيحِ طَعْنَةٍ سَاقَةِ بيدِ غادر، أو وهم يَكُونُونَ من حُرْقَةِ صَفْعَةٍ حبيبٍ مُقَامِر. وكيف يستقيم ذلك؟! وفيهم العالمُ الغافلُ الذي أنفق سنيناً من عمره خلف قضبان سلطانٍ جائرٍ، وذلك جزاء بؤجه بكلمة حقّ خالصة لوجهه الرحيم الغافر.

(¹) - ياسر تيسير العبيتي: (الذكاء العاطفي، نظرة جديدة في العلاقة بين الذكاء والعاطفة)، (5)

(²) - دانييل جولمان: (الذكاء العاطفي)، (52).

وبأيِّ حالٍ نبيحُ لأنفسنا؟! أن لا نغير اهتماماً لحسراتِ أمْ تُكلى تُفصُّ علينا أحداثَ أيامها العجافِ بعد فُرْقَةٍ زوجٍ وِبيِّ صالحٍ، أو فُقْدانِ ابنِ حانٍ باءٍ.

ولمَ لا...؟! وما المحذور...؟! في أن نحترم قريضاً جيَّاشاً لشيَّابَةٍ بتولٍ أوجعَ قلبها العفيفَ رحيلُ حبيبٍ كم كانت تحلم أن تكون أمّاً لطاقرةِ أزاهير أولاده...؟!.

إن العُفْمَ عن إثمار الصادق من المشاعر، والشَّخَّ عن السخاء بالتدبيري من المبادرات، هو إنذار سبَّيٍّ لدايِّ عضالٍ مُستعصِ ما أحوج المبتلى به إلى رحلة استشفاءٍ في رياضِ علمِ النَّفسِ الإسلامي الذي يَرَقِّبُك بركاتِ آياتٍ مُعجزةٍ تارةً، ويرفع عن عاتقك الكَلِّ هومَ تجربةِ حياةٍ مفعجةٍ تارةً أخرى.

إننا في هذه الصفحات الوافدة إلى نقيِّ أفكارنا، ونديِّ أفئدتنا، سنحط رحالتنا على مشارفِ تشخيصِ أسقامِ قاتلةٍ، لا أقول تقتل الجسد بل أجزم أنها تقتل الرُّوح، وإن التداوي من لَعْنَةِ أدرانها فريضةٌ إنسانيَّةٌ وشرعيَّةٌ وعقليَّةٌ وقلبيَّةٌ وروحيَّةٌ، وإن الفارَّ من الانصياع إلى فرائضِ وَصَفَتِهَا الإلهيَّةُ النَّبويَّةُ وَنَصَّائِحِهَا، هو مُعْتَلٌ عاقِرٌ.. أو في أحسن أحواله مهووسٌ عاقٍ.

إن في أعماقِ حَزَمِ مخازن اللاشعور لديك؛ نوايا مُتَعَفِّنة، وقراراتٍ هَدَّامة، ومخططاتٍ مُدَمِّرة، وإنه ينبغي أن يكون ضمن سُلْمِ أولوياتك إعادة ترتيب أوراقت المِعْتَرَّة، كي لا تُفني أيام عمرك وأنت تطارد سراباً مُخادِعاً، وتلهث خلف أوهامٍ مُتَحَلِّفةٍ، فالطريق من هنا يا سيدي، وهو مُجَافٍ تماماً لوجهتك الحالية.. فاحذر الله.. وَجُبِّ المغيبةَ عن نَفْسِكَ.. وَرَحْمَةً منك بروحكِ وبقلبكِ وبجسدكِ نَرْجُوكِ.. ثُمَّ بِمَنْ تُعُولُ نَرْجُوكِ.

2-مشكلة البحث:

إنَّ من أسرار السعادة أن يكتشف الإنسان نفسه، وأجمل شيء في هذه الحياة أن يعرف الإنسان قيمته ومكانته لكي يندرج تحت السقف الذي يعيش فيه، فعندما تكتشف نفسك وداخلك وما تشعر به فأنت حققت نصف متطلبات النجاح في التعامل مع الناس، فالإنسان عندما يعرف قيمته بين الناس تنتج عنه تصرفات تطابق المكانة التي يعيش فيها من ناحية الأسلوب والتعامل والكلام الذي يتكلَّمه مع الناس.

وحيث أن الدُّكَاةُ العاطفيَّةُ قد أصبحَ علماً متداولاً يوصِّفُ ماهية وكيفية التعامل الناجع مع الناس فقد وجد الباحث أنه من الخير أن يقدم توصيفاً تحليلياً تأصيلياً يبين فيه رؤية الفكر التربوي الإسلامي لمبدأ الدُّكَاةُ العاطفيَّةُ.

وعليه، فإن مشكلة البحث تتلخص في السؤال الآتي: ما مفهوم الدُّكَاةُ العاطفيَّةُ الفرديَّةِ والجماعيَّةِ في

المنظور التربوي الإسلامي؟

3-أهمية البحث ومسوغاته: تتلخص أهمية البحث ودوافع كتابته في النقاط الآتية:

- أ- التعريف بمفهوم الذكاء العاطفيّ الفرديّ والجماعيّ في المنظور التربوي المعاصر.
- ب- تقديم الرؤية الإسلامية لمفهوم الذكاء العاطفيّ.
- ت- تسجيل قَصَبِ السَّبْقِ للشريعة الإسلامية في تخريج أجيال متتالية من المسلمين تحلت بأعلى منازل الذكاء العاطفيّ وخصائصه.
- ث- التعريف بالذكاء العاطفيّ الجماعيّ بوصفه أحد حاجات الأمة الملحة الحالية لإنجاز التغير المنشود والعودة للماضي المجيد.

4-أهداف البحث: يَنْشُدُ البحث تحقيق الأهداف الآتية:

- أ- التعريف بمفهوم الذكاء العاطفيّ الفرديّ والجماعيّ في المنظورين التربوي المعاصر والإسلاميّ أيضاً.
- ب- تبيان شمولية الشريعة الإسلامية ومحآكاتها لعديد العلوم النفسية والتربوية الحديثة النافعة.

5- مصطلحات البحث: ومن أهمها الآتي:

- أ- **الذكاء العاطفيّ الفرديّ:** هو قدرتنا على إدارة جموح مشاعرنا، وكفاءتنا في حسن توظيف عبق أحاسيسنا.
- ب- **الذكاء العاطفيّ الجماعيّ:** هو تعاون أبناء الأمة جميعاً على تجاوز أزماتهم الداخلية، ثم مواجهة مشكلاتهم الوافدة.
- ت- **المنهج التربويّ الإسلاميّ:** هو فلسفة الإسلام في تربية الفرد والجماعة المسلمة في ضوء توجيهات الكتاب والسنة.

7- الدراسات السابقة: من أهم الدراسات السابقة ذات الصلة التي وقع عليها الباحث ما يأتي:**أ- ما فوق الذكاء العاطفي.. حلاوة الإيمان**

- الباحث: د. ياسر العيتي
- تاريخ النشر: 2010م
- ملخص البحث: يتناول هذا البحث ولادة مصطلح جديد علمي باسم الذكاء العاطفي، أي قدرة الإنسان على التعامل الإيجابي مع ذاته ومع الآخرين، ليحقق أكبر قدر من السعادة لنفسه ولمن حوله، ويوضح عناصر كل من الذكاءين العقلي والعاطفي. ويبين تنمية الإسلام عند الصحابة والتابعين مهارات الذكاء العاطفي، وكيف يشعر

الإنسان بجلالة الإيمان عند تحليله بتلك المهارات ويربطها بربه ودينه وآخرته. ولماذا لم يعد الإسلام مؤثراً في معظم المسلمين اليوم، ولماذا اختار الله تعالى العرب من بين الأمم للنهوض برسالة الإسلام. ويوضح الكتاب عندما تكون الحياة لله، كيف يدرك الإنسان ذاته وغايته في الوجود ومبادئه وقيمه، ويصف أعباء الله. ويشرح كيف يتحكم الإنسان بالمشاعر السلبية كالخوف والقلق والغضب، وكيف يتخلص منها، ويتجاوز المحن والأزمات، وتصبح النفس مطمئنة بالإسلام. ويصف الكتاب الصديقين، وكيف أعلى الله درجاتهم. ويتكلم عن القادة اللينين واتصاف قيادتهم الحقيقية باحترام الإنسان ومحاورته وإقناعه، ويدعو إلى عدم التفرق وقبول الاختلاف البناء، وعدم إلغاء الآخر، وتحمل المسلم مسؤولياته بإيمانه وحركته ومبادرته وإيجابيته واقتحامه الظروف، ويصف الكتاب حياة المسلم المؤمن المتمتع بالذكاء العاطفي، وكيف يعيش لله حياة متوهجة بالحب والعزم والأمل، مليئة بالمشاعر.

ب- الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السنة النبوية

- الكاتب: علي إبراهيم سعود عجين
- تاريخ النشر: 2009م
- ملخص البحث: يتناول هذا البحث موضوع الذكاء العاطفي وهو: قدرة الإنسان على التعامل الإيجابي مع ذاته ومع الآخرين، لتحقيق أكبر قدر من السعادة لنفسه ومن حوله. حيث وجد الباحث أن السنة النبوية حافلة بتطبيقاته العلمية في جميع مجالاته وهي: معرفة الإنسان لانفعالاته والوعي بالذات. وإدارة العواطف والتحكم بها. وتخفيف النفس لتحقيق الأهداف الذاتية. ومعرفة عواطف الآخرين والتقمص الوجداني. والمهارات الاجتماعية. وتم التركيز على المجالات الثلاثة الأولى وهو ما يعرف بالذكاء العاطفي الذاتي. وبين الباحث تميز الذكاء العاطفي المستنبط من السنة النبوية لأنه مرتبط بالإيمان بالله تعالى، وأثر ذلك في تحقيق تأجيل الإشباع، والصبر، والتفاؤل، وتوجيه النفس نحو تحقيق العبودية لله تعالى. كما أوصى الباحث الدارسين للسنة النبوية بتوجيه اهتمامهم نحو بيان أثر السنة النبوية في علم النفس بشكل عام والذكاء العاطفي بوجه خاص.

ثانياً: المحتوى العلمي

سوف يعالج البحث من خلال هذا الفصل الملامح الرئيسة التي توثق تحلي أبناء الأمة المسلمة بأعلى درجات الذكاء العاطفيّ الفرديّ والجماعيّ وتحقيقتهم لأدق معايير الجودة التي وصفتها نظريات علم النفس المعاصرة عند حديثها عن مقومات وأسس علم الذكاء العاطفيّ الفرديّ والجماعيّ.

1- مَعَالِمُ التَّوْازِنِ النَّفْسِيِّ:

كيف نستطيع أن نكتب جميع ما يقلقنا على الرمال؟

وبأيّ أدواتٍ محترفةٍ نَنقُشُ أوها منا المدمّرة على ألواح من الجليد زازجة تحت نير شمس صيفٍ ملتهبٍ؟
وأين تدار يا ترى قدراتنا الكامنة على النجاة من فحّ جلد الذات، ومقابر عقد المقارنات المغلوطة؟
ألم يأن لنا أن نستيقن أن درهم حكمة خيرٌ من قنطار علمٍ، وأنا اليوم - وأكثر من أي وقت مضى - بحاجة ملحة إلى أن نضع السلم على الجدار الصحيح؛ كي لا تغلبنا التوفاهة على أمرنا ونُحَكِّمَ في حياتنا فقه الأولويات الذي ندير في ظلاله الأمانة أخطر ملفات حياتنا؟

إن الذكاء العاطفيّ الذي يشكل الشقّ الأول من الذكاء الإنساني والأهمّ فيه؛ هو قدرتنا على إدارة جموح مشاعرنا، وكفاءتنا في حسن توظيف عبق أحاسيسنا، ومن خلاله فحسب نبدأ والنهائية واضحة في أذهاننا، إذ إننا نتطهّر برؤالٍ مائه من أدران شللٍ فكريّ تحظُّور، وتَصَحَّرُ نفسي لا تحمد لخليله عاقبة.

إن التوازن النفسي عماد الأمر كله، فلا يغني عن القائد والمعلم والطبيب وغيرهم من المضطربين نفسياً وسلوكياً شهادات غلياً حصّلوها، ولا كتبٌ فكريّةٌ نُشروها، ولا خبراتٍ عمليّةٍ اكتسبوها، فالواحد منهم على مشارف انهيار أخلاقي في علاقته مع زوجته وبنيه، وربما قد أجمع زملاؤه من قبّل على استحالة مصاحبته، ثمّ مضى على مذهبيهم في تقويمه أتباعه أو طلابه، أو مرضاه، والذين توافقوا منذ زمن ليس بقریب على أن قائدهم أو معلمهم أو طبيبيهم؛ أرحم له ولمن حوله أن يعتكف بيته، من أن يخالط الناس فيصيبهم منه أذى وإحراج وأخطارٌ ما أعظم غناهم عنها.
إن الإنسان الخيّر هو من يأنس الناس بلقباه، ويستبشر الأهل ويطمئنوا بعودته، وإذا ما أبعدته عنهم أحنحة الأيام؛ أسكنه في شغاف القلب حنين لتاريخه الأبيض، وعندما يأتيه أمر الله فيذيقه الموت وحشة القبر، لا يبرح العارفون بكرم خلقه، وطيب محفله، إلا أن يتجاوزوا في حسن ذكره أطراف الحديث مشفّعين نجواهم بإهداء روحه الرّحمت،

وما أحسن ما حدثنا جابر عن رسول الله ' أنه قال: <المؤمن يألفُ ويؤلفُ، ولا خير فيمن لا يألفُ، ولا يؤلفُ، وخير النَّاسِ أنفعهم للنَّاسِ> (1).

إن العلم والثراء والسلطان والجاه والجمال، والنزوق الرفيع في الملابس والمأكل والمسكن، عوارض عابرة لا تترك عند الناس من دون منظومة أخلاقية راسخة في قلب الإنسان، ومتَّعدة في قوله وعمله إلا أثراً عكسياً سلبياً، فتقلب تلکم النَّعْمُ والمِنْخُ على أصحابها الذين لم يكتسبوا بحلة كريم الشمال نِقْمًا ومِحْنًا، فإنه لا يغني عن العالم المتعالي جزالة وعظه، ولا عن الغني المحتال كثرة ماله، ولا عن السلطان الجائر قوة كرسیه، ولا عن الجميل طلائع حسنه، وإن الثوب الرقيق على الجسم العليل كَفَنٌ، والبيت الأنيق لساكينٍ مقهورٍ فيه حُجْدٌ، وطعامٌ على الذُّلِّ سُمٌّ زعافٌ، وصدق رسول الله ' إذ قال: <إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فَلْيَسْعَهُمُ مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ> (2).

إن الدِّكَاةَ العَاطِفِيَّةَ تتجلى في مظاهر عديدة من الاتزان في المشاعر، وقوة المحافظة على المبادئ، والثبات على المثلى التي يعتقد المرء بصحتها، وهو كفاءة عالية لا يمتلكها إلا عينة قليلة من النَّاسِ؛ تتجلى عندهم في حسن قيادة قلوب النَّاسِ وتوظيف طاقاتهم، ويمكن العثور على هؤلاء المَوزِنين وجدانياً والتَعَرُّفِ إليهم بسهولة وسرعة من خلال معيارين دقيقين للغاية:

الأول منهما: قدرتهم على محاكاة هموم الناس وحاجاتهم، والتفاعل معها على نحو بَنَاءٍ، والثاني يتمثل في قوة ثباتهم على مستوى التواصل الإيجابي مع الناس وديمومته، بحيث يَخْلُصون من جهدهم النوعي هذا إلى كسب وِزَادٍ من حولهم، وخصناً القبول من قَلْبِهِم، ثُمَّ كَنَزُ الإقتناع من عقلهم.

2- تحقيق معايير الذكاء العاطفي في السيرة النبوية (إمام الأذكياء عاطفياً):

وإن السابر الحكيم لأحداث السِّيرة النَّبَوِيَّةِ وأحاديثها، يقع على سلسلة مطولة من المواقف والكلمات التي تتجلى فيها رتبة الذكاء العاطفي عند سيدنا مُحَمَّدٍ ' في مستويات رفيعة غاية الرِّفْعَةِ، ولا غَرَابَةَ في ذلك ولا مَشَاخَةَ، فالتَّجِبُّ الكريم ' الذي قاد أُمَّةً من رمضاء لَعْنَةِ الوَادِ، إلى جنان سُدَّةِ الرَّيَادَةِ، والرَّسُولِ الحليم ' الذي جمع الشَّمْلَ، ورَأَبَ الصَّدْعِ، ورفع عن النَّاسِ رِنْقَةَ الخنوع لصنم، والتَّجِبُّ الرَّسُولِ ' الذي كان يبيت على الطوى، ومات فقيراً مديوناً بعدما سُودَّ على الورى، والمصطفى المظلوم ' المحارب المَشْرَدَ زوراً ومهتناً برغم أنه سليل أعيان القوم نَسَبًا، والذي لَمَّا مَكَّن

(1) الطبراني: «المعجم الأوسط»، باب العين، باب الميم من اسمه: مُحْتَدٌ، حديث: (5895).

(2) ابن حجر العسقلاني: «المطالب العلية»، كتاب الطب، باب حسن الخلق، حديث: (2626).

فأتى عمر بن الخطَّاب إلى النَّبيِّ، فقال: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي؟ قال: <وما ذاك؟>، فأخبره، وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله. قال: <إذا ترَّعدُ له أنْفٌ كثيرةٌ يبشرب!>. قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمُر به سعد بن معاذ، ومُحمَّد بن مسَلَمَةَ، فيقتلانه فقال رسول الله: <إني أكره أن يتحدث النَّاسُ أن مُحمَّدًا يقتل أصحابه، ادعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أبي>. فدعاه.

فقال: <ألا ترى ما يقول أبوك؟!>، قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟، قال: <لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعرُ منهُ الأذَلُّ؟> فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعرُ وهو الأذَلُّ، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بما أحد أبترٌ مني، ولكن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيتهما به، فقال رسول الله: <لا>.

فلما قدِموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على باهما بالسيف لأبيه؛ ثمَّ قال: أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعرُ منهُ الأذَلُّ، أما والله لتعرِّقَنَّ العرَّةَ لك أو لرسول الله!!، والله لا يأويك ظلُّه، ولا تأويه أبداً إلا بإذنٍ من الله ورسوله؛ فقال: يا للخزرج؟!؛ ابني بمنعني بيتي!؛ يا للخزرج ابني بمنعني بيتي!، فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذنٍ منه؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذنٍ من الله ورسوله، فأتوا النَّبيِّ فأخبروه، فقال: < اذهبوا إليه، فقولوا له خَلِّه ومسكته>؛ فأتوه، فقال: أما إذا جاء أمر النَّبيِّ، فَنَعَم⁽¹⁾.

إن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي أقدَمَ على خيانات عظمى استحق على كلِّ واحدةٍ منها منفرداً الحكم بالإعدام دون أدنى تردد في مسألة قتله، أو أي وجهة اجتهد قد تثير الاختلاف في أمر خيانتته، وليس بخافٍ على أحد انخزاله بثلت الجيش يوم أُحد⁽²⁾ في حِصَمٍ عوزِ المسلمين لمقاتل يسدُّ ثغراً عن ظهر المسلمين، ولكن النَّبيِّ الحكيم كان اجتهداه الذي قابل به نكوس هذا الكافر المنافق عن كل عهدٍ، وتحلُّه من كل مروءةٍ، باتخاذ قراراتٍ غريبةٍ، لا تظهر منافعها المبرَّرة لها إلا للخاصة من الخلقِ ممن آتاه الله بصيرة تطلعه على غياهب الآفاق، فدفع المفاسد في

(1) الطبري: «جامع البيان في تأويل آي القرآن»، سورة المنافقون، القول في تأويل قوله تعالى: (يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ) [المنافقون: 8]، وقوله: (لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) [المنافقون: 8]، حديث: (31617). وانظر؛ البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة، باب قوله: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم حديث: (4625). ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث: (4788).

(2) الصنعاني: «المصنف»، كتاب المغازي، وقعة أحد، حديث: (9433).

فلسفة النَّبِيِّ ' السياسية مقدّمة على جلب المصالح، وإن لكل مقامٍ مقالاً، وسيعلم الذين خانوا قريباً جداً أي مصير ستؤول له أحوالهم، وذلك بمشهم رحس ما صنعوا من قبائح الأعمال، إذ إنّها سياسةٌ عسكريةٌ ذكيّةٌ في إدارة الأزمات، تستبصر النتائج في ضوء المعطيات، وتتخذ القرارات بحسب الظروف المتاحة، إنه أعلى هرم يقيم عليه الأذكياء عاطفياً، والمتوازنون وجدائياً.

4- التربية النبوية على الذكاء العاطفي الجماعي (تَمَّ كَانَ لِلنَّبُوَّةِ كَلِمَتَهَا):

والمشهد التالي يبين وجهاً آخر للإقدام على جريمة الخيانة العظمى، غير أن الجاني فيها صحابي بدريّ جليل، خارت عزيمته، وتذبذب إيمانه، فسقط في وادٍ سحيقٍ جرّاء الغلط في التقدير، وسوء الأداء في الاجتهاد، ولكن المنهج التربوي النبوي تضبطه خطوطٌ عريضةٌ جليّةٌ، إذ تُذهّبُ الحسنات فيه السيئات، ويُقدّمُ فيه العفو على العدل. أخبرنا عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت عليّاً رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله ' أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: <انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينةٌ، ومعها كتاب فخذوه منها>، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب؟، فقالت: ما معي من كتاب!، فقلنا: لئخرجي الكتاب؛ أو لتلقينيّ الشاب، فأخرجته من عقاصيها، فأتينا به رسول الله '، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة؛ يخبرهم ببعض أمر رسول الله '.

فقال رسول الله ' : <يا حاطب ما هذا؟>، قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ' : <لقد صدقكم>، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق!؟، قال: <إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم> (1).

إن الذكاء العاطفي عند سيدنا رسول الله ' كان يمثّل صمّام الأمان الذي يقيه من ردّات الفعل غير المدروسة، ويحجب عنه مغبات الولوج في توجهاتٍ تُحرّكها دوافع الانتقام للنفس والأهل والعشيرة، ما يسفر عن نتائج غير مرتقبة؛ قد لا يستطيع المرء ترميم آثارها الهدامة بأيّ وسيلة متاحة، فتجاوز عن مكّرٍ منافقٍ أثيرٍ بغية ردم أوكار

(1) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، حديث: (2866).

الفتنة التي سيتسبب قتلها بفتح جحيم نارها، وصفح عن ذنوب مؤمن صادق رجاء أن يفتح له الله أبواب التوبة المشرعة آناء الليل وأطراف النهار.

5- تحسين الجماعة من التفريق في ظلال مبادئ الذكاء العاطفي الراسخة (الشارد والقنديل):

ومن قطاف السيرة الشريفة في تبيان روائع ذكاء رسول الله العاطفي، يقص علينا الصحابي خواتم بن جبير لطيفة شائعة توثق حكمة النبي، الخاصة جداً في تعامله مع زلات أصحابه، ودرابته الرشيدة بإعطاء الدواء الملائم لكل عليل في ضوء حجم عثرته وسوء فعلته، فيقول رضي الله عنه: نزلنا مع رسول الله، مَرَّ الظهران⁽¹⁾، قال: فخرجت من خبائي فإذا أنا بنسوة يتحدثن، فأعجبني، فرجعت فاستخرجت عيبي⁽²⁾، فاستخرجت منها حلة⁽³⁾ فلبستها وجمت فجلست معهن.

وخرج رسول الله من قُبَيْبِهِ فقال: <<أبا عبد الله ما يجلسك معهن؟>>، فلما رأيت رسول الله هبته واحتلقت، قلت: يا رسول الله جمل لي شرد⁽⁴⁾، فأنا أبتغي له قياداً، فمضى واتبعته، فألقى إلي رداءه ودخل الأراك⁽⁵⁾؛ كأني أنظر إلى بياض منيه في حاضرة الأراك، ففضى حاجته وتوضأ، فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره، أو قال: يقطر من لحيته على صدره، فقال: <<أبا عبد الله؛ ما فعل شرداً جملك؟>>.

ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال: <<السلام عليك أبا عبد الله؛ ما فعل شرداً ذلك الجمل؟>>، فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة، واجتبت المسجد والمجالسة إلى النبي، فلما طال ذلك تحيئت ساعة خلوة المسجد، فأتيت المسجد فقممت أصلي، وخرج رسول الله من بعض حجره فجأة فصلى ركعتين خفيفتين، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: <<طول أبا عبد الله ما شئت أن تطول؛ فلست قائماً حتى تنصرف.>>

(1) مَرَّ الظهران: يسمى اليوم وادي فاطمة، ويبعد عن مكة (30) كيلاً تقريباً، فيه عدد من القرى أشهرها (الجموم).

(2) العيبة: وعاء من آدم ونحوه، ويكون في المتاع.

(3) حلة: ثوبان (إزار ورداء) من جنس واحد، مثل الطقم في أيامنا.

(4) شرد: نقر وذهب في الأرض.

(5) الأراك: واد قرب مكة.

فقلت في نفسي: والله لأعتذرَنَّ إلى رسول الله ‘ ولأبرئَنَّ صدره، فلَمَّا قال: <السلام عليك أبا عبد الله؛ ما فعل شِراءُ ذلك الجمل؟>، فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم، فقال: <رحمك الله> ثلاثاً، ثُمَّ لم يعد لشيء مما كان⁽¹⁾.

إن للسائل أن تدور في خلدك استفسارات تتداعى على خاطره بعدما سمع قصة الصحابي خَوَات، ومن ذلك أنه ربما يسأل كيف تجرَّأ ذلك الصحابي على أن يقترف نظير ذنبه هذا؛ وهو في حضرة النُّبُوَّةِ وسَدَنَتِها؟ ولماذا لم يُنزل به النَّبِيُّ ‘ أشدَّ العقاب لتطاوله على أعراض المسلمين من ناحية، ولتحقيق تأديب رادعٍ مُجْدٍ لمن شهد عذابه من المؤمنين؟

إن الجواب عن هذه التساؤلات المشروعة يتبدَّى بإشهار المنافع الجمَّة التي سعى إليها النَّبِيُّ ‘ من وراء ستره على إثم خَوَات؛ فقد وارى عَوْرَتَهُ، وفَرَّجَ كُرْبَتَهُ، وأَلْفَ قَلْبَهُ، وإن العقوبة المأمولة قد تحققت من خلال وجباتٍ دسمةٍ قدمت بالاعتماد على آليَّة من التقرُّع المستمر الموجَّه عبر منهج التذكير بالذنب المقترف، والتي بُذِلَتْ له على طبقٍ من ذهب؛ فاتنٍ رونقُهُ، ومُرٍّ مذاقُهُ.

إن لغة تواصل النَّبِيِّ ‘ مع الصحابي المستترِّق النَّظَرَ إلى عورات النساء المسلمات آتت أكلها بإذن ربِّها، فالرجل قد أسلم جَمَلَهُ، وآبَ إلى صاحبه مُعلنًا أنه لن يعود إلى شروده الذي صادف - في غفلة العين المؤمنة عن أنوار خالقها - أن أنزل مطاياه بجوار مضارب العفيفات الطاهرات، إن هذا المنهج في التربية يمثِّل أعلى نماذج الدُّكَّاءِ العاطفيِّ الذي قد يستضيفه المرء بين ضفتي عقله وقلبه، (وإن هذا التوازن الذي بلغ الغاية والنهاية في دقة التمييز بين الأحوال المختلفة، وتوزيع المواقف المتضادة، بحسب طبيعة كل منها وظروفها ومقتضياتها بالحكمة والاعتدال، كيلا يصبح التسامح فساداً، والرأفة ضعفاً، وقلة المبالاة خللاً ومضيقاً للحقوق والواجبات والمصالح؛ هذا التوازن في شخصية الرسول ‘ وسلوكه كان صورة تطبيقية دقيقة لذلك التوازن في الشريعة الكاملة التي جاء بها)⁽²⁾.

(1) الطبراني: «المعجم الكبير»، باب الخاء، باب من اسمه خزيمه، خَوَات بن جبير الأنصار، حديث: (4036). وانظر؛ لأبي نعيم الأصبهاني: «معرفة الصحابة»، باب الخاء، باب من اسمه خارجه، حديث: (2259).

(2) مصطفى أحمد الزرقا: «عظمة محمد خاتم رسل الله مجمع عظمت البشر»، (35).

6- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (قَبَسٌ من أنوار الشَّيخين):

إن في رحلات الصحابة الكرام نماذج حيَّة توافق على تكامل توازهم النفسي، وأقرَّ لهم باستقامة السيرة، وسلامة السريَّة، ووضوح الرؤية، وبعْد النظر، والترفع عن الساقط من العثرات جمهورٌ عريض ممن خالطهم، وبايعهم، وشاراهم، وناكحهم، وصحَّهم في الإقامة والترحال، وقد تحقَّق ذلك لشريحة متنوعة ومتعددة من الصحابة من خلال توافق الأقوال مع الأعمال، وتباين المواقف في ضوء تغير المعطيات الملحوظة من ناحية، واختلاف مسببات الأحداث ونتائجها المتوقعة من ناحية أخرى.

ويقع الدَّارس في ثنايا سيرة سيدنا أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه على لوحاتٍ فيسفسائيةٍ نُضِرَّةٌ تؤنِّقُ امتلاكه لمراتب خاصة غاية الخصوصية من الدُّكَاةِ العاطفيَّةِ الفطريِّ المنشأ بدايةً، والمكتسبِ التحسينِ والتطويرِ لاحقاً. فهو رجل قريب من الناس متعاشٍ معهم برغم أشغالٍ شاغلةٍ ملقاةٍ على عاتقه ما أكثرها، وواجباتٍ عامةٍ مناطةٍ بقربته ما أخطرها، إنه خبير في محاكاة آمال النَّاسِ وآلامهم، علماً أنه متكرِّجٌ في حصاد جميع هذا التوفيق على علاقةٍ متينةٍ تربطه بخالقه سبحانه وتعالى.

ومما يجلِّي تكامل شخصيته في علاقته مع ربه وعباده سبحانه ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ' قال: < من أصبح منكم اليوم صائماً؟ >، قال أبو بكر: أنا، قال: < فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ >، قال أبو بكر: أنا، قال: < فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ >، قال أبو بكر: أنا، قال: < فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ >، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله: < ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنَّة >⁽¹⁾.

إن ابن أبي قحافة، أبا عبد الله الصِّديق هو بَشْتَرٌ في جوهره نَشَأَتْ مملكةٌ عامرةٌ بأخلاق الملائكة المقرَّبين، وهو شَمْسٌ تشرق بأنوارها على النَّاسِ لتغمرهم عافيةً ونوراً، وهو قمرٌ يأنسُ بوجده الغريب والحيارى فيكسو ليلهم فرحاً وذكرًا. ومما يبين هذا التحري الحساس بدرجة امتياز مرضاة الله تعالى عند الخليفة أبي بكر؛ وهو ضرب من ثبات الدُّكَاةِ العاطفيَّةِ وأصلته، ما روته أم المؤمنین بنت الصِّديق عائشة، قالت: « كان لأبي بكر غلام يُجْرَجُ له الخِرَاجُ، وكان أبو بكر يأكل من خراجِهِ، فجاء يوماً بشيءٍ فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما

(1) ابن حجر العسقلاني: «المطالب العالیه»، كتاب الطب، باب حسن الخلق، حديث: (2626).

هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسب الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقَاءَ كلَّ شيء في بطنه»⁽¹⁾.

أليس رغيغ الخبز الحلال، يعمر أجساد البشر، ويحفظ عليهم بركات العمر؟!، وإن من يتحرى القرش المباح يجمعه، ويجاني فتنة الدرهم الحرام فيدفعه، هو شخص معاني من أسقام لا تستوطن إلا أفئدة المختلئين نفسياً، القاصري البصر، والمطموس على بصيرتهم.

وتوازن الصَّدِيقِ العَاطِفِيّ من معالنه أن ما يطرأ من تغير الأحوال مثل تحصيل جاهٍ رفيع، وسلطانٍ مَنِيْعٍ، لا يُسَوِّغُ للمرء التحول عن كريم أخلاقه إلى ما هو دونها، فتواضع أبي بكر لم تُثَلِّم فيه مخالِب الرِّياسة السَّامة جداراً، بل نزلت عليه مُلَطِّفَةً ومُحِبِّبَةً بشخص الخليفة المسلم الأول، ومن قبيل ذلك ما ذكره الإمام مُحَمَّد بن سعد وغيره، أن أبا بكر كان يجلب لأهل الحَيِّ مَنَائِحَهُمْ⁽²⁾، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ قالت جارية من الحي: الآن لا يُجَلِّبُ لنا! فقال: بلى، لأحلبنَّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلت فيه، عن مُخْلِقٍ كنت عليه، فكان بعد الخلافة يُجَلِّبُ لهم⁽³⁾.

إن الثبات على المبادئ المعتنقة، مؤشر ذو دلالة إيجابية على أصالة خصلة الوفاء، ومثانة شميلة قوة الانتماء، وهي تمثل أحد معايير الحكم على المرء المتوازن في عواطفه، الذي لا يستقيم بحال أن يغدو دمية متحركة تعبت به حتى النسائم اللطيفة الرقيقة.

وللخليفة المسلم الثاني حكاياتٍ أخرى تؤكد ترُبعُ هذا الرجل العظيم على سُدَّةِ البشر المتوازنين نفسياً، والأذكياء عاطفياً، فالرَّجُلُ عَرِفَ بأنه حَسَامٌ بَنَّاؤُ لرؤوس أرباب الباطل من رعاة الجهل والظلم فهو قِبَلَهُمْ كصخرٍ أصَمٍّ لا يرحم، وهو في الوقت عينه أبُّ رَفِيقٍ لِيِنَّ الجانِبَ تَشْفُفُ روحه عن شفقَةٍ يَظَلَّةٍ لا تطيق أن تُعَايشَ عذابات النَّاسِ وأحزانهم.

إن طبيعة شخصية الفاروق تجعل المتابع لسيرته الحافلة بالإجازات يقف حائراً عند مواقفه المتباينة بعمق في الشكل والمضمون نحو عدد من قضايا الأُمَّة المختلفة، بحيث ينتهي المطاف بالدارس لأحداث حياته إلى أن عمر بن الخطَّاب كان يتمتع بقدرات مذهلة تُعِينُهُ على ترتيب الأوراق المبعثرة، واستثمار الأوقات المهدورة، ومداداة النفوس المعتلَّة، وتقوم مسار الممارسات المحرمة.

(1) البخاري: كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، حديث: (3652).

(2) المَنَائِحُ: جمع مَنِيْحَةٍ، وهي الناقة أو الشاة يعيرها صاحبها إنساناً ليشرب لبنها ويعيدها.

(3) عبده كوشك: «صفحات مشرقة من تاريخ أعلام الأمة»، (ص/12 - 13).

وإن في قصة خروج عمر إلى الشام عِبْرًا ودلالاتٍ تُشَخِّصُ مستوى وضوح الرؤية عند أبي حفص، فلا عدول عن الأصول إلى القشور، ولا وجود لأيِّ فرجة قد يُلجج منها الشيطان إلى النَّفس التي أبصرت طريقها، فالمعادلة سهلة للغاية: إن شرف الانتساب إلى الإسلام أرفع الأوسمة، وما خلاه بهجج دنيويٍّ وضعيٍّ لا يبرح سرابه أن يتبدد مع بارقة أنوار الوحي الأولى، ولا يَعُرِّن المؤمن تقلب الكفرة في البلاد، فهو غشاءً آيلٌ إلى زوالٍ لا محالة، لأنها سنَّة الله المكيمة ومن يطبق لسنَّة الله تديلاً أو تحويلاً.

فعندما خرج عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى الشام بصحبة أبي عبيدة ابن الجراح، فاتوا على مَخَاضَةٍ⁽¹⁾، وعُمَر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فحاض بها المَخَاضَةَ، فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المَخَاضَةَ؟ ما يسرُّني أن أهل البلد اسْتَشْرَفُوكَ⁽²⁾»، فقال عُمر: «أَوْه! لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة!! جعلته نكالا لأُمَّةٍ مُحَمِّدٍ؛ إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»⁽³⁾.

والرجل الذي كان سفير قريش في الجاهلية إلى النَّاس، وغدا سفير المسلمين إلى المجد في الإسلام، والذي أَرعب ذكره قلوب عتاة الروم والفرس، وأهرمت أصداء قرعه طبول الحرب عزيمة نُحْبَةِ الفرسان، وأذهلت أخابره الشيوخ والأطفال والعداري وأديرة الرهبان، ها هو في حالة يرثى لها بعدما تجلّى له أن حقوقاً لأطفالٍ مسلمين في عيشٍ كريمٍ قد سلبت منهم؛ بسبب فقرٍ مُدْفِعٍ كاد أن يكون كُفْرًا، فتحول الأسد الجسور عُمر إلى عابديٍّ ناسكٍ أَعْرَقَتْ دموع خشيته من عذاب الله ليالي أنسه، وأفسدت لحظات سروره، فأُبْكِمَ الحكماء عن الرَّدِّ الجميل لسوء كرب قد ألمَّ بعمالق الإسلام.

فقد روى التابعي الثقة قَسَامَةُ بن زهير المَازِنِيُّ البَصْرِيُّ، قال: وقفَ أُعْرَابِيٌّ عَلَى عُمر بن الخطَّابِ فَقَالَ:

يَا عُمرَ الخَيْرِ جَزِيَتَ الجَنَّةِ جَهَّزْ بُنْيَاءِي وَأَكْسِ هُنَّةَ

أُفْسِرِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهُ

(1) المَخَاضَةُ: الموضع القليل الماء الذي يعبر فيه النَّاس مشاةً وركباناً.

(2) اسْتَشْرَفُوكَ: نظروا إليك واطلعوا على وضعك وأنت بهذه الهيئة.

(3) الحاكم: «المستدرک علی الصحیحین»، کتاب الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، حديث: (191).

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي؟ قال: أقسم بالله لأمضيته. قال: فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابي؟ قال:
 وَاللَّهِ عَنِ حَالِي لَتُسْأَلْتَهُ ثُمَّ تَكُونُ الْمَسْأَلَاتُ عَنَّهُ
 وَالْوَأَقِيفُ الْمَسْؤُولُ بَيْنَهُنَّ إِمَّا إِلَى نَارٍ وَإِمَّا جَنَّةٍ

قال: فبكى عُمر حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثمَّ قال: يا غلام، أعطه قميصي هذا، لذلك اليوم لا لشعره، والله ما أملك قميصاً غيره!⁽¹⁾.

وروى زيد بن أسلم أيضاً ما يتناسب مع هذا المقام من حالة الطمأنينة والسكون التي كانت عند أمير المؤمنين، عن أبيه أن عُمر بن الخطَّاب طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحوها صبيان يكون، وإذا قُدِّرَ على النار قد ملأتها ماء، فدنا عُمر بن الخطَّاب من الباب.

فقال: يا أمة الله، أئش بكاء هؤلاء الصبيان؟

فقلت: بكاءهم من الجوع.

قال: فما هذه القدر التي على النَّار؟

فقلت: قد جعلت فيها ماء أعللهم بما حتى يناموا، أوهمهم أن فيها شيئاً من دقيقٍ وسمينٍ.

فجلس عُمر فبكى، ثمَّ جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة، وجعل فيها شيئاً من دقيقٍ وسمينٍ وشحمٍ وتمرٍ وثيابٍ ودرهم، حتى ملأ الغرارة، ثمَّ قال: يا أسلم، احمل عليّ.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أحمله عنك!

فقال لي: لا أُمُّ لَكَ يا أسلم، أنا أحمله لأنني أنا المسؤول عنهم في الآخرة.

قال: فحمله على عنقه، حتى أتى به منزل المرأة، قال: وأخذ القدر، فجعل فيها شيئاً من دقيقٍ وشيئاً من شحمٍ وتمرٍ، وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القِدْر، قال أسلم: وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثمَّ جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثمَّ خرج وريض بجذائهم كأنه سُبُعٌ، وخفَّت منه⁽²⁾.

(1) ابن الأثير: «أسد الغابة»، (662/3).

(2) أحمد بن مروان الدينوري المالكي: «المجالسة وجواهر العلم»، (84/2). وانظر: «كنز العمال»،

(148/12). و«الرياض النضرة في مناقب العشرة»، (385/2).

إن من أهم مصادر تحصيل السعادة هو (سعي الإنسان لإسعاد الآخرين، وبخاصة من يحتاجون إليه من الضعفاء والفقراء، وهؤلاء هم المصدر الأهم للإسعاد، ولا شيء يسعد الإنسان كشعوره بدوره في إسعاد الآخرين، ومن يشعر بالشقاء فعليه أن يجرب هذا الأسلوب، وسوف يجد لذة دائمة في حياته، وهي لذة متجددة في كل صباح، والأناية تبعد الإنسان عن هذا الاختيار⁽¹⁾).

7- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (فقه الحُبِّ القويم):

إن الصدق في المعاملة، والتراحم والتعاطف بين إخوة الإسلام، وبذل النصيحة الخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، هي ممارسات تدل بجلء على تمتع صاحبها بتوازن نفسي محمود، نابع عن ذكاء عاطفي راسخ في النفس ومتجذر في الإدراك، وإن هذه التربية الرشيدة التي تعهد بها النبي ' الرعيل الأول من الصحابة آتت أكلها حقائق متألفة وليست مثاليات أفلاطونية ما تجاوزت حلاقيم الوعظ، ولا بآئت من تلافيف أوراقيهم، إن «سرَّ عظمة النبوة في مُحَمَّدٍ ' أنه ترك من بعده خلفاء عنه في قيادة الدعوة؛ يفهمون شريعته كما يفهمها، ويتخلقون بأخلاقه كما أدَّبه ربه، فاستمرت الدعوة من بعده، وأدت رسالتها في التاريخ»⁽²⁾.

ومن فتوحات الله جلَّ وعلا على رعييل القرن الأول من المسلمين في موضوع حسن الخلق ما حدثنا به أبو حمزة أنس بن مالك إذ قال: كنت جالساً ورجلٌ عند النبي '، فقال رسول الله ' : < لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ لأخيه المسلم ما يحبُّ لنفسه >.

قال أنس: فخرجت أنا والرجل إلى السوق فإذا سلعة تباع فسأوتُهُ، فقال: بثلاثين، فنظر الرجل فقال: قد أخذتها بأربعين، فقال صاحبها: ما يملك على هذا وأنا أُعْطِيكَهَا بأقلَّ من هذا؟!، ثمَّ نظر أيضاً فقال: قد أخذتها بخمسين، فقال صاحبها: ما يملك على هذا وأنا أُعْطِيكَهَا بأقلَّ من هذا؟ قال: إني سمعت رسول الله ' يقول: < لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه >، وأنا أرى أنه صالح بخمسين⁽³⁾.

(1) محمد فاروق النبهان: «خواطر مضيئة من وحي الأيام»، (132).

(2) مصطفى السباعي: «دروس من الحياة»، (202).

(3) الهيثمي: «مجمع الزوائد»، (342)، وقال: في الصحيح (بخاري: 13 - مسلم: 45) طرف منه عن

أنس وحده. ورواه البزار في مسنده كشف الأستار، (68)، ورجاله رجال الصحيح.

8- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (بصيرة الوالدِ والأمِّ):

ويعُدُّ اليقين الذي يورث القناعة والرضا، ويوطد دعائم الإيمان بالمبادئ والمثل، ما ينتهي بالإنسان إلى أن يستقر على دَبْدَبٍ منهجٍ جليٍّ، بحيث لا تتنازعهُ مُحدَثَاتُ الأهواء، ولا تمورُ به غرائب الطوارق، أحد مظاهر الذكاءِ العاطفيِّ البِنَاءِ، وأهم ثمرات الطمأنينة النفسيةِ الصحيحةِ.

وفي مجريات الحادثة التالية إيمان عميق بالقضاء والقدر، وثقة بالغة بأن ما عند الله قادم لا شك في مجيئه ولا ريب، ويتجلى ذلك في سلوك الابن الصالح، ومعه الأم المستبشرة بما عند الله خيراً.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ' خرج يوماً فاستقبله شابٌّ من الأنصار يقال له: حارثَةُ بن النُّعمان، فقال له: <كيف أصبحت يا حارثَةُ؟>.

قال: أصبحت مؤمناً حَقّاً.

فقال رسول الله: <انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقةً، فما حقيقةُ إيمانِكَ؟>.

قال: عَزَفْتُ نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأتُ نهارِي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعادون فيها. فقال له النَّبِيُّ: <أبصرت فالزم، مرتين، عبدُ نَوْرِ الله الإيمان في قلبه>.

وفي «أسد الغابة» لابن الأثير (426/1) زيادة جاء فيها: فقال حارثَةُ: يا رسول الله! ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله .

قال: فنودي يوماً في الخيل: يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فجاءت أمُّه إلى النَّبِيِّ ' فقالت: يا رسول الله، أخبرني عن ابي حارثَةَ، أين هو؟، إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا؟!.

فقال لها رسول الله: <يا أم حارثَةَ، إنها ليست بجنةٍ ولكنها جنانٌ، وحارثَةُ في الفردوس الأعلى>.

قال: فانصرفت وهي تضحك وتقول: بَخِ بَخِ لك يا حارثَةَ⁽¹⁾.

(1) البيهقي: «شعب الإيمان»، التاسع والثلاثون من شعب الإيمان، فصل فيما يقول العاطس في جواب

الشميت، الحادي والسبعون من شعب الإيمان وهو باب في الزهد وقصر الأمل، حديث: (10164).

إن الثقة بما عند الله تورث المرء حالة من التوكل عليه وحده سبحانه، بحيث تجعله في طمأنينة وسكينة وحبور، وإن إدراك هذه النعمة هو منتهى الطموح، وأجلُّ المقاصد، إن الإيمان الذي استقر في قلب حارثة وأُمِّه يقدِّم صورةً مشرقةً لأثر اليقين في نفوس النَّاسِ وأنشطتهم الحياتية المختلفة، ويعد التوكل من أنجع سبل علاج القلق السَّلبيِّ الهدَّام الذي يفضي في أحيانٍ كثيرةٍ إلى أدواءٍ نفسيةٍ حرجيةٍ مثل الاكتئاب، وضيق المجالس، ورهاب المرتفعات، والعزلة المرضية، والوسواس القهريِّ.

إن المتوكلين على الله تعالى هم أشخاصٌ متوازنون عاطفيًّا، تعرفهم بعلامات الرضا عن الله تعالى المتجسِّبة في تعابيرهم وممارساتهم أيًّا كانت جسامة الأقدار النازلة بساحاتهم، فهم يبيتون ليلهم آمنين، وينفرون فجرًا كالطير مستبشرين، ويصدِّقون فيهم قول أبي الطيب:

أَنَامُ مِلَاءَ جُفُونِي عَن شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جِرَاهَا وَيَخْتَصِمُ

وإن أعلى درجات النَّعمِ التي منحها الله عبداً من عباده تتمثل في سعادةٍ غامرةٍ تقطن شغاف القلوب، تربو بجوهرها عن مظاهر السعادة المَفْتَنَّةِ، وذلك أنها لا تنحدر فتسقط في فَحِّ محاكاة أوهام الفرح والابتهاج المضلِّلة، إنها منزلةٌ رفيعةٌ دوَّنها جميع المنازل، وغايةٌ ساميةٌ ليس لها من دون الله مُنْعِمٌ.

إنها السعادة التي قال فيها العارف بالله تعالى إبراهيم بن أدهم⁽¹⁾ بعد ما أكل مع صاحبه أبي يوسف كسيراٍت يابساتٍ من الخبز، وحمد الله عليها: يا أبا يوسف! لو علم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا بالسيف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب⁽²⁾.

إن من أهم النتائج التي يسفر عنها الدُّكَاةُ العَاطِطِيَّةُ أو الوِجْدَانِيَّةُ تنبَدِيٌّ في كِنِزِ سرورٍ يُتَّحِفُ النَّفْسَ فَتَهْنَأُ به، ومُجَانِبَةً حَرْقِيَّةً لا تمسُّ حرمة الصُّدْرِ فيضيقُ بها، وذلك أن الأمور بخواتيمها، فالوجبات الدَّسِمة التي تقدِّم لخروفٍ

(1) هو إبراهيم ابن أدهم البلخي، مجاهد، سيد الزهاد، أحد السادة الأخيار والعباد الأطهار، ولد في حدود سنة (100هـ). وكان أبوه من أهل الغنى في بلخ في أفغانستان، سكن الشام، وكان ينفر في سبيل إعلاء كلمة الله مع المجاهدين ضد الروم.

(2) البيهقي: «الزهد الكبير»، (81). وانظر؛ ابن عساكر: «تاريخ دمشق»، (302/6 - 303، 365 - 366).

مسكينٍ سيقاد قريباً جداً إلى المسلخ، لا تعد بحال ترفيهاً يسمى صاحبه محظوظاً، بل إن الجوع المتأني من الصوم الذي يضمن الصحة والسلامة في الدارين هو خير منه وأبقى .

9- التوازن العاطفي لدى التابعين الكرام (عابدة الإسلام الأولى):

واننا في ضيافة مدرسة العابدة الزاهدة الذاكرة رابعة بنت إسماعيل العَدَوِيَّة، أم عمرو، مولاة آل عَتِيك، بنت البصرة، سوف ننهل من الراحة بذكرها ما لا يتخافت نَعْمُهُ، ونَسْتَقِي من مَعِينِ الحب لله ورسوله ما يدوم وَجُدُهُ، إنها امرأة عاشت ثمانين سنة في ضيافة الله سبحانه، مُنْزِلَةً مطاياها على أعتاب رَهْمَا، حتى تَوَقَّأها بارئها بالقدس السليب سنة (135هـ).

ومن لطائف أخبارها المحببة إلى قلوب المؤمنين ما حدث لها مع الإمام الأعظم سفيان الثوري يوم لقي رابعة العَدَوِيَّة، وكانت زَرِيَّةَ الحال، فقال لها: يا أم عمرو! أرى حالاً رَثَّةً، فلو أتيت جارك فلاناً لغير بعض ما أرى؟ فقالت له: يا سفيان وما ترى من سوء حالي؟ أَلَسْتُ على الإسلام؟ فهو العِرُّ الذي لا دُلَّ معه، والغنى الذي لا فقر معه، والأنس الذي لا وحشة معه.

والله! إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟!

فقام سفيان وهو يقول: ما سمعت مثل هذا الكلام.

وقالت رابعة لسفيان: إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم، فاعمل.

ومن روائع سكوتها الروحي حيث لا وجود لخوفٍ مرضيٍّ يجتاح فرائصها، ولا ليأسٍ يدكُّ أسوار طمأنينتها النفسية، ما روي من خبرها مع أبي سليمان الهاشمي الذي كان من تجار البصرة الأثرياء، وكانت كل يوم له غلَّةٌ تعدل ثمانين ألف درهم.

فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها، فأجمعوا على رابعة العَدَوِيَّة، فكتب إليها: «أما بعد: فإن مُلْكِي من غلَّةِ الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم، وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مئة ألف إن شاء الله، وأنا أخطبُكَ نَفْسِكَ، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف، وأنا مُصَيَّرٌ إليك من بَعْدُ أمثالها، فأجيبيني؟».

فكتبت إليه: «أما بعد: فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي فَهَيِّئْ زادك، وَقَدِّمْ لِمَعَادِك، وَكُنْ وصيَّ نَفْسِكَ، ولا تجعل وصيتك إلى غيرك، وَصُمْ دهرك، واجعل الموت فِطْرَكَ، فما يسرنى أن الله حَوَّلني أضعاف ما حَوَّلَكَ، فيشغلني بك عنه طرفة عين، والسلام».

وقالت مرة امرأة لِرَابِعَةٍ: إني أحبك في الله، فقالت لها: أطيعي من أحببني له.

وكانت رحمها الله تقول: اللهم قد وهبت لك من ظلمي، فاستوهبني ممن ظلمته.

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهوردي في كتابه «عوارف المعارف» نشيدها الروحي الخالد:

إِنِّي جَعَلْتُكَ فِي الفُؤَادِ مُحَدَّثِي وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي⁽¹⁾

إن السعادة في الدارين هي غاية كل مؤمن، وإن أسعد امرأة في الدارين رَابِعَةٌ، فقد أبصرت هذه العابرة أنوار الله شاخصَةً، فما تضيئها بعد كل هذا الأنوار ظلماتٌ، عرفت طريق الحُسْنِ والبَهَاءِ فاكتحلت في مرة ذكراً، وفي أخرى كان قيامها الليل تكريماً وتشريفاً.

10- التوازن العاطفي لدى الصحابة الكرام (حمّاد.. نموذج العالمِ العامِلِ):

ونستكمل مشوارنا الإيماني مع السادة الشرفاء المكرمين في الدنيا والآخرة من الذين صدقوا الله في بيعتهم على التقوى، فصدقهم الله وعده إذ أخلد ذكرهم إلى يوم يبعث الناس فرادى، حفاةً، عراءً، حيث نخطُّ رحالنا عند إمام كبير في تعليم سبل كسب اليقين والرضا، وطرائق حياة السعادة والهنا، والتي هي غاية كل نفس، وأمل كل عابر سبيل، إنه الحافظ القدوة، أبو سَلَمَةَ البصريُّ، حمّادُ بن سَلَمَةَ، مفتي البصرة، الذي كان سيد أهل زمانه، ورأساً في السُّنَّةِ، من الأخيار مجابي الدعوة، وقد كثرت أخباره المثيرة للدهشة في الزهد والعلم والتُّرُة عن سفاسف الأمور، ومنها قصة يرويها لنا مُقَاتِلُ بن صَالِحِ الحُرَّاسَانِيُّ، قال: دخلت على حمّادِ بن سَلَمَةَ فإذا ليس في البيت إلا حصير،

(1) ابن خلكان: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، (2/285 - 288). وانظر: «سير أعلام النبلاء»،

(8/241 - 243). و«شذرات الذهب»، (1/193). و«الأعلام»، (3/10).

وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجرّاب⁽¹⁾ فيه علمه، ومطهرة⁽²⁾ يتوضأ فيها، فبينما أنا عنده جالس إذ دقّ عليه ذاقّ الباب، فقال: يا صبيّة! اخرجي فانظري من هذا؟، قالت: هذا رسول محمّد بن سليمان⁽³⁾.

قال: قولي له يدخل وحده، فدخل، فسلم، وناوله كتابه، فقال: اقرأه، فإذا فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ إِلَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَمَا بَعْدُ: فَصَبَّحَكَ اللَّهُ بِمَا صَبَّحَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، وَأَهْلَ طَاعَتِهِ، وَقَعْتَ مَسْأَلَةً، فَأَتْنَا نَسْأَلُكَ عَنْهَا، وَالسَّلَامُ».

قال: يا صبيّة! هلمّي الدّواة، ثم قال لي: اقلّب الكتاب واكتب: «أما بعد: وأنت فصبّحك الله بما صبّح به أولياءه، وأهل طاعته، إنّنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن وقعت مسألة فأتنا فلسنا عمّا بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتيني إلا وحدك، ولا تأتيني بحيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي، والسّلام».

فبينما أنا عنده جالس إذ دقّ ذاقّ الباب، فقال: يا صبيّة! اخرجي فانظري من هذا؟، قالت: هذا محمّد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده، فدخل فسلم ثمّ جلس بين يديه، ثمّ ابتداءً فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً؟

فقال حمّاد: سمعت ثابتاً البُنانيّ يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ' يقول: <إِنَّ الْعَالَمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللَّهِ هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ>، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْتَبَ بِهِ الْكَنْزَ هَابَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ>⁽⁴⁾.

فقال: ما تقول يرحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله؟ قال: لا تفعل ربحك الله، فإنّي سمعت ثابتاً البُنانيّ يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ' يقول:

<إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْذِّبَ عَبْدَهُ بِمَالِهِ وَقَفَّعَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ لَوْصِيَّةٍ جَائِرَةٍ>⁽⁵⁾.

قال: فحاجة إليك؟

(1) والجِرَاب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه.

(2) والمَطْهَرَة: كل إناء يتطهر منه، كالإبريق والسطل والركوة وغيرها.

(3) هو مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبَّاسِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَمِيرُ الْبَصْرَةِ، وَلِيَهَا أَيَّامَ الْمُهَدِيِّ، وَعَزَلَ سَنَةَ (164هـ)، وَأَعَادَهُ الرَّشِيدُ، وَزَوْجُهُ الْعَبَّاسُ بِنْتُ الْمُهَدِيِّ سَنَةَ (172هـ)، وَاسْتَمَرَ فِي الْبَصْرَةِ إِلَى أَنْ تَوَفِيَ سَنَةَ (173هـ).

(4) الدَيْلَمِيُّ: «الْفَرْدُوسُ بِمَأْثُورِ الْخَطَابِ»، (71/3). وانظر؛ السيوطي: «الجامع الصغير»، حديث: (5657).

(5) الدَيْلَمِيُّ: المرجع السابق، (244/1).

قال: هاتِ، ما لم تكن رزِيَّةً في دينِ.

قال: أربعين ألف درهمٍ تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه.

قال: ارددها على من ظلمته بها.

قال: واللَّه ما أعطيك إلا ما ورثته.

قال: لا حاجة لي فيها، ازوها عني زوى الله عنك أوزارك.

قال: فغير هذا.

قال: هاتِ، ما لم يكن رزِيَّةً في دينِ.

قال: تأخذها فتقسمها.

قال: فلعلِّي إن عدلت في قسمها أن يقول بعض من لم يرزق منها: إنَّه لم يعدل في قسمها فيأثم، ازوها عني زوى الله عنك أوزارك⁽¹⁾.

إن النَّفسَ المؤمنة تستقرئ في ظلال الدِّكَاةِ العَاطِفِيَّةِ المتينِ المستقبلِ على بصيرة، وتُعملُ العقل في المسائل المعروضة على دراية، فلقد خيَّرَ الإمام حَمَّادُ الحُكَّامِ وعرفهم، فهم ليس في قواميسهم مفردة عطاء، والبديل عنها تصاريف مبتكرة كثيرة وشاذة حتماً لمفردة أخذ، إن أموال الله التي سلَّطهم عليها هي محجوبة عن أن يصرف قرش واحد منها لوجه الله وحده، إن المال السياسي كان وسيبقى يُمنَحُ لتحقيق مصالح وشراء ألسنٍ وأقلامٍ ومواقفٍ، وذلك بغية أن يستر فيها الحاكم جوراً، أو يدفن مظلمةً، وهذه التجارة الرابحة المباحة في شريعة الحكام معاذ الله أن تجد أعشاشاً تُفَرِّجُ فيها بيوضها القاتلة على مرتفعات العارف بالله العالم العامل حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ رحمه الله تعالى، وإن النفس التي تقارع مغريات الدرهم والجاه، ومفاتن النساء ذوات المنصب والجمال هي نفس تتوضَّع على هرم النفوس المتوازنة عاطفياً.

11- منظومة الدِّكَاةِ العَاطِفِيَّةِ الجماعيَّةِ:

وفي ظلال ما أفدناه من إشراقات بعض روائع أحداث تراثنا الإسلامي الجيد، نجتهد رأينا في أن نختتم بحذو الأسئلة الواضحة:

(1) الخطيب البغدادي: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، (362/1 - 363). وانظر؛ ابن عساكر،

«تاريخ دمشق»، (132/53 - 133). وابن الجوزي: «صفوة الصفوة»، (361/3 - 362).

كيف استطاع الإسلام أن ينمّي مهارات الذكاء العاطفي عند الرّعيّل الأوّل من الصّحابة والتّابعين، فانتقلوا من الصّبياع إلى الهداية، ومن الضّعف إلى القوّة، ومن التّفرّق إلى الوحدة، ومن التّبعية إلى القيادة؟ إذا كانت مكوّنات الذكاء العاطفي.. كإدراك الذات، والتفاؤل، والمرونة، وامتلاك زمام المبادرة، وتحمل المسؤولية، والقدرة على التواصل مع الآخرين، والإيمان بنقاة الاختلاف البّناء، وإتقان سياسة إدارة الأزمات، وغير ذلك متوافرة في تعاليم القرآن الكريم، وفي ممارسات النّبيّ، فلماذا تحلّف المسلمون عن الإفادة من التفكير الإيجابي الذي دعاهم الإسلام إليه بوصفه أحد أهم مفرزات الذكاء العاطفيّ بغية التخلص من مشكلاتهم المزمنة، وتحلّفهم الخطير؟

لماذا لا تكبيرُ أُمَّة الإسلام قيود تبعيتها، وتمزّق أفتنة تحلّفها، معتمدة على توازنٍ نفسيّ تربيها عليه آيات الذكر الحكيم، وسيرة النّبيّ الأمين؟

وإن القصد السامي من وراء طرح جملة الأسئلة الكبيرة تلکم هو أمل حزين له نحيب يدمي القلوب، ننشد من خلال تبيان حال حرقة قلبه الضعيف؛ أن نعصف دماغ القارئ الكريم ونقدح ذهنه كونه أحد أفراد هذه الأُمَّة المنكوبة بتكالب لقطاع العالم كافةً عليها⁽¹⁾، تاركين بين أيديهِ النازفة أوراقاً بيضاء رجاء أن يدوّن عليها إجاباتٍ

(1) تنادى عتاة الغرب والشرق في القديم والحديث من الأيام بغية شن حرب على الشريعة الخاتمة، متحازين لإنجاز نهمهم المشين جميع خلافاتهم العميقة، فقد سئل وزير خارجية إيطاليا عندما كان رئيساً للمجموعة الأوروبية: ألم يتم بين دول أوروبا وفاق؟ إذا فما لزوم الحلف الأمني! فأجاب بصلافة: هناك أعداء.. هناك الإسلام. ولن ينس المسلمون مقولة رئيسة الوزراء البريطانية (مارجريت تاتشر): لقد تخلصنا من العدو الأصغر.. وباقي العدو الأكبر وهو الإسلام. وقد قال (آلان موهيد) في كتابه الشهير «النيل الأبيض»: إن احتلال الإنجليز لمصر في عام (1881م) كان لمواجهة مؤامرة إسلامية خطيرة، وتيارٍ مُحمّديّ متعصّب. وقال (رونس براون): إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي. وقال (بن جوربون) رئيس الوزراء الإسرائيلي: اصبروا.. فلن يكون سلام لإسرائيل ما دام العرب تحت قيادة الرجعيين، إن الشرط الأساسي للسلام أن تقوم في البلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدّميّة متحررة من التقاليد الإسلامية. وأما نحن المسلمين فبرغم يقيننا بأن ما تخفي صدورهم أكبر بعدما بدت كل هذه البغضاء من أفواههم، فإننا نجد في الواقع دليلاً قاطعاً وجلياً على عظيم حقدهم وفحش كيدهم، وإن رينا لبالمرصاد، وعند الله مكرهم. (عثمان نوح: «الابتلاء والمحن»، (55).

منطقيَّةً عمليَّةً تسهم في تخليص النَّاسِ من أَلْمٍ ويَأسٍ وضعفٍ طال عهدهم، فأتعسوا نفساً تحتضنهم على كُرْبِهِ، وأوهنوا جسداً يحملهم على مَضْنُصٍ؟

إن طريق الخلاص أمام أبناء الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ واضحةٌ معالمة، تُبَيِّرُهُ في النَّهَارِ بوارق السيوف التي لا يطيق كَسَرَ عَيْنِ الشَّمْسِ غَيْرُ بريقها، وتُضَيِّئُهُ في اللَّيْلِ أذكار القيام، وَأَنَاةَ التَّهَجُّدِ، وتراتيل قرآن الفجر المشهود، وهي جميعها بمثابة أقماعٍ لا يُجَبُّتُ لها نور، لأنها عَصِيَّةٌ على أن يُغْفَى لها زيت، أو تُدْبُلُ لها فتيلة؟

نعم؟! إن طريق النجاة أمام المسلمين يتيم، وسُئِلُ غيره ماضية بهم دون رب نحو الجحيم؟
إن الدُّكَاةَ العَاطِفِيَّةَ الجماعِيَّةَ يمثل الوجه الثاني للدُّكَاةِ العَاطِفِيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وهو مَلَكَةٌ يتحلَّى بها مجموع أفراد الأُمَّةِ إذ إنها تتخلَّقُ في رحمِ مَحَبَّةِ أبناء الأُمَّةِ لبعضهم بعضاً، وذلك عندما تغدو علاقاتهم الوطيدة بمثابة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهَرِ والحَمَى، وهي تثمر عن أداء جماعي مبدع يستطيع المسلمون أو غيرهم من خلاله صناعة أجداد الأُمَّةِ المنشودة، لأن يد الله على الجماعة، ويمثل هذا التعاضد الخَلَّاق استطلاع الرعييل الأول الميمون في الدولة الإِسْلَامِيَّةِ البِكْرِ تحطيم أصنام الظلمات من حجرٍ وبشرٍ، ونشر أنوار الشريعة الخاتمة بين المشرقين.

إن الدُّكَاةَ العَاطِفِيَّةَ قادرٌ على ردم الهوة التي أمست عميقة فيما بين المسلمين مع بعضهم البعض من وَجْهِ؛ وهو يمكِّنُ المسلمين من إعادة ترتيب سلم أولويات مشروعهم الإِصْلَاحِيَّ مع الأمم الأخرى من وَجْهِ ثانٍ، إنه بوصلةٌ دقيقةٌ لا تُحْيِدُ العواطف في محافل العقل، بل تجعلها رقيقة على أدائه المنطقي، وهي مؤمنة بأهمية دور العقل في ميادين نشاطها في قطاعاته كافة.

إن الدُّكَاةَ العَاطِفِيَّةَ في علم النَّفْسِ التَّرْبَوِيَّ الإِسْلَامِيَّ يُنْتَصِرُ في اجتهادك من أجل أن ترضي ربك، وتتعرف على طاقات نَفْسِكَ، وتتعامل مع النَّاسِ في ضوء ضوابط شريعتك.

إن السعادة التي نتطلع جميعاً لرشفِ شَهْدِ عسلها الشافي، يضمنها لنا توازنٌ نفسِيَّ حَاصِفٌ، يُنشَأُ في رحم برعم الإيمان، وَيَخْلُقُ في أكنافِ زهرة التقوى، ويُثْمِرُ عن خيرٍ غفيرٍ تحت عناية اللطاف عين الله سبحانه وتعالى التي لا تأخذها سِنَّةٌ ولا نوم.

ثالثاً: نتائج البحث وتوصياته

خلص الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات, ومن أهمها:

- 1- الذكاء العاطفي هو علم معتبر ينبغي على الباحثين المتخصصين في علوم النفس والتربية الإسلامية معالجته وفق الرؤية الإسلامية الرشيدة.
- 2- وثقت الدراسة نجاح مناهج التربية الإسلامية الشاملة والعميقة في تخريج أجيال من أبناء الأمة المسلمة الذين تحلو بأعلى درجات الذكاء العاطفي.
- 3- توصي الدراسة بأهمية إنجاز دراسات تحليلية تأصيلية نقدية تفنّد دعوى عجز الفكر التربوي الإسلامي عن محاكات ما تطالعنا به علوم العصر من فتوحات علمية (نفسية وتربوية) عبر تأكيد صلاحية الشريعة الإسلامية الخاتمة لبناء الإنسان الصالح الناجح في كل عصر ومكان.

رابعاً: مصادر البحث ومراجعته

القرآن الكريم.

- أحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي: **شعب الإيمان**، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض، 2003م.
- أحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي: **كتاب الزهد الكبير**، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، بيروت، 1969م.
- أحمد بن الخطيب البغدادي: **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، د- ت.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تنسيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة - دار الغيث، الطبعة الأولى، السعودية، 1419هـ.
- أحمد بن مروان الدينوري المالكي: **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، 1419هـ.
- الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري: **المستدرک علی الصحیحین**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1990م.
- دانييل جولمان: **الدِّكَاةُ العَاطِفِيَّةُ**، ترجمة ليلي الجبالي، سلسلة عالم العرفة، العدد 262، 2000م.
- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني: **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د- ت.
- شمس الدين أحمد ابن خلِّكان البرمكي الإبلي: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د- ت.
- شبرويه بن شهردار أبو شجاع الديلميُّ الهمداني: **الفردوس بمأثور الخطاب**، تحقيق السعيد بن بيسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1986م.
- عبده كوشك: **صفحات مشرق من تاريخ أعلام الأمة**، دار الفيحاء، الطبعة الأولى، دمشق، 2009م.
- عثمان نوح: **الابتلاء والمحن**، دار الإيمان، الاسكندرية، د- ت.
- علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1994م.

- علي بن الحسن المعروف بابن عساكر: **تاريخ دمشق**، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، 1995م.
- مُحمَّد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية، الطبعة الثانية، دمشق، 1993م.
- مُحمَّد بن جرير الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد مُحمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، 2000م.
- محمد فاروق النبهان: **خواطر مضيئة من وحي الأيام**، دار التراث، الطبعة الأولى، حلب، 2007م.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، دار سحنون، الطبعة الثانية، القاهرة، 1992م.
- مصطفى أحمد الزرقا: **عظمة محمد خاتم رسل الله مجمع عظمت البشر**، دار القلم، دمشق، 2008م.
- مصطفى السباعي: **دروس من الحياة**، دار الوراق - ودار النيرين، الطبعة الأولى، دمشق، 2002م.
- نور الدين علي بن سليمان الهيثمي: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
- ياسر تيسير العيتي: **الذكاء العاطفي، نظرة جديدة في العلاقة بين الذكاء والعاطفة**، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، 2010م.
- ياسر تيسير العيتي: **ما فوق الذكاء العاطفي حلاوة الإيمان**، دار الفكر، دمشق، 2009م.

Al kuran al karim

Shwab al imaan- al baihaki, 2003.

Kitab al zwhd al kabir-- al baihaki, 1969.

Al jamia liakl al rawi wa aadaab al samia – al bagdadi

Al matalib al alia bizawaad al masanid al samania- al askalani, 1419.

Al majalia wa jawahir al ilim- al maliki, 1419.

Al mwstadrak ala al sahihin – al nisabori, 1990.

Alzakaa al aatyfy - jolman, 2000.

Al mwajam al awsat – al tabari

Wafiat al aeian wa anbaa abnaa al zaman – eben kalakan

Al firdaws fimaswr al kitaab- al hamazani, 1986.

Safaht moshrika – koshak, 2009.

Al ibtilaa wa al mihaan- noh

Asd al gabaa fi marifate al sahaba – eben al asir, 1994.

Tarih demashk – eben asaker, 1995.

Sahih al bokari – al bokari, 1993.

Jamia al bayan fi tawil al kuraan – al tabari, 2000.

Kawater mdiaa min wahi al aiaam- al nabhan, 2007.

Sahih mwslim – al naisabori, 1992.

Azamat muhamad katem al rwsul – al zarke, 2008.

Dwrws min al haia – al sibai, 2002.

Majmaa al zawaid wa manbaa al fawaaid – al haiami, 1994.

Alzakaa al aatyfy – al aiti, 2010.

Alzakaa al aatyfy halawat al imaan – al aiti, 2009.

